المقاربة العرفنيَّة للّغة[1] عند رونالد لانقاكر

قراءة في الأسس والمفاهيم من خلال كتابه

(Cognitive Grammar : a Basic Introduction)

Langacker's cognitive approach of language

A reading in the bases and concepts through his book (Cognitive Grammar : a Basic Introduction)

الدكتور : كمال بخوش

قسم اللغة و الأدب العربي ، جامعة المدية ،

Kamel.bekhouche@yahoo.fr

تاريخ الإيداع: 2020/10/06 تاريخ القبول: 2020/12/27 تاريخ القبول: 2021/03/15

ملخص :

تأتي هذه الورقة البحثية في سياق محاولة تقديم تصوُّر مركَّز عن الأسس العلمية والمعرفية التي أسست للمقاربة العرفنيَّة للغة عند اللساني الأمريكي رونالد لانقاكر(Ronald Langacker)،وهذامن خلال كتابه الموسوم بـ : مدخل في النّحو العرفنيّ (: Cognitive Grammar a Basic Introduction)،والذي يعد من أهم المؤلفات في المنجز اللساني الغربي عموما و في الحقل اللساني العرفنيِّ على الوجه الأخص، والذي ترك الأثر البارز من خلال التصورات التي قدمها والمتعلقة بالجوانب العرفنيَّة للغة، إن على مستوى الطرح العلمي للمسائل ذات الصلة أو على المستوى المنهجي، فما هي الأسس التي قامت عليها المقاربة العرفنيَّة للغة عند رونالد لانقاكر ؟ وهذا من خلال كتابه المذكور سلفا.

- **كلمات مفتاحية** : رولاند لانقاكر ، لغة، ذهن، عرفنة، إدراك .

- ***Abstract:***

This paper is an attempt to supply a deep conception on the scientific and cognitive bases which contributed to found the cognitive approach of language introduced by the American linguist Ronald Langacker in his book "Cognitive Grammar : a Basic Introduction". This last is considered very important in the Western linguistics, particularly in the field of the cognitive linguistics owing to the prominent impact it has left on the language studies,

especially in the cognitive side thanks to the scientific method used to deal with the topic. So, what are the bases of Langacker's cognitive approach in his book?

- ***Key words:*** Ronald Langacker, language, mind, cognition, understanding

1- مقدمة :

تعد اللسانيات العرفنيّة من بين التوجهات الجديدة في البحث اللساني عموما والتداولي على وجه الخصوص، وهذا بالالتفات إلى مسألة اللغة بما هي نشاط ذهني[2]، وهذا بمحاولتها تجاوز التوجّه الذي ينزع إلى فرض الحدود بين اللغة وسائر الظواهر النفسية المرتبطة بها - وهو المنحى الذي سلكته الدراسات اللسانية البنوية وحتى التوليدية والتحويلية - إلى طرح يرى في اللغة انعكاسا للتجربة الجسدية على المستوى الذهني في شكل بنى تصورية تحقق إدراكا خاصا بالعالم المحيط .

إنّ هذا المنحى العرفنيّ في البحث اللغوي يحاول مقاربة مسألة النشاط الإدراكي للإنسان من خلال نافذة اللغة، و هي النافذة التي يمكن تلمّسها في مستوى الاستعمال من خلال محاولة تمثّل كيفية إنتاج أنماط لغوية دقيقة ومنسجمة مع وضعيات تواصلية محددة يتداخل فيها (ما هو لغوي) مع(ما هو خارج لغوي) من جهة، ومن جهة مقابلة الكيفية التي يمكن من خلالها القيام (بفعل التلقي)،وهذا بقدرة الفرد على الحسابات التأليفية بين مختلف المعطيات اللغوية وغير اللغوية و التي تمكّنه من تحديد معنى محدد ومقصود من بين كل المعاني المحتملة، وكل هذا وفق حسابات استدلالية دقيقة .

إذن فالمسألة المطروحة هي مسألة الذهن وما يحدث فيه بالدرجه الأولى، و هو السياق العام الذي نحاول مقاربته هنا في هذا البحث الموجز ، محاولين تتبع بعض القضايا المفتاحية للسانيات العرفنيّة على وجه عام، والتركيز على رؤية اللساني الأمريكي **رونالد لانقاكر (Ronald Langacker)** لهذه المسائل على وجه أخص، مثل مسألة الإدراك، و مسألة المعنى من المنظور العرفنيّ و مسألة التجربة الجسدية .

2- العلوم العرفنيَّة : حدود و مفاهيم :

2-1- ما العلوم العرفنيَّة ؟

لقد عرفت فترة السبعينيات من القرن الماضي، بروز توجه جديد حاول تجاوز مخرجات الرؤية البنوية وكذا التوليدية و التحويلية في التعاطي مع المسألة اللغوية [3] وهذا

بالالتفات إلى **مسألة الذهن** وجعلها قضية مركزية في مختلف النقاشات الدائرة حولها(اللغة)، فظهرت بذلك العلوم العرفنيَّة كـ " حقل جديد يجمع ما يعرف حول الذهن ضمن عدة اختصاصات أكاديمية مثل علم النفس واللسانيات والأنتربولوجيا و الفلسفة وعلم الحاسوب، وهو يبحث في أجوبة دقيقة لأسئلة من قبيل: **ما العقل ؟ كيف نجعل تجربتنا ذات معنى ؟ ما النظام التصوري و كيف ينتظم؟ إذا كان الأمر على هذا النحو فما هو ذلك النظام؟ وإذا كان خلاف ذلك فما المشترك بين طرق التفكير لدى كل الكائنات البشرية**؟ "[4] وهو التحول الذي نتج عنه توجيه البحث نحو مساءلة **القدرات الذهنية** لدى البشر التي تمكِّنهم من إنتاج المعرفة وتلقيها بدءا من صوَّرها البسيطة حتى صوّرها المعقدة.

إنّ هذه الرؤية السالفة الذكر سرعان ما انعكست على الدرس اللساني وأدت إلى بروز ما أصبح يسمى في أدبيات البحث اللغوي **باللسانيات العرفنيَّة** التي ترى– بحسب رونالد لانقاكر(**Ronald Langacker**) - أن البنية اللغوية تعتمد إلى حد ما على نظم وقدرات أخرى أكثر قاعدية، مثل الإدراك، فبدل أن تكون اللغة وحدة متميّزة مكتفية بذاتها (منظومة، أو ملكة ذهنية منعزلة)، فإنّها تعتبر وجها من صميم العرفنة لا يتجزأ عنها [5]، و من ثمّ أصبح النظر إلى اللغة على أنها النموذج الأمثل الذي يمكن أن يقدِّم تصوّرا دقيقا عن القدرة الذهنية العامة لدى البشر.

لقد فتحت هذه الرؤية نقاشا واسعا حول **مسألة الإدراك** وكذا بحث علاقة اللغة بالعقل، وهذا بمحاولة فهم كيفية تشكل **البناء التصوري** لدى الإنسان من جهة، و كيف يمكن لهذه البنية التصورية أن تمثل واقعا وجوديا دقيقا من جهة أخرى، انطلاقا من زاوية أنّ الألفاظ لا تعبر عن المعاني بقدر ما تمثل مداخل إلى تصورات خاصة عن الوجود، ومثوِّرة للسلسلة معقَّدة من الاستدلالات في بناء المفاهيم والتصورات في المستوى الإدراكي، فما طبيعة الإدراك و ما مفهومه

2-2- الإدراك والعلوم الإدراكية :

تعرف العلوم الإدراكية [6] في أدبيات الدرس الفكري و الفلسفي المعاصر **بالعلوم التي تركّز البحث على النشاط الفكري للإنسان**، لذلك نجدها تتكيء على عديد العلوم التي تغذيها و تسهم في بلورة تصوراتها، كعلوم الأعصاب وعلوم النفس، وعلوم الذكاء الاصطناعي ...إلخ، وهي العلوم التي يشكل موضوع العقل والذهن الموضوع الرئيس في بحثها، و هذا" على الصعيدين: الصعيد الوظيفي، بوصفه نظاما لمعالجة المعلومات و/أو لإنتاج المعارف، والصعيد

المادي بوصفه فيزيقيا يتكوَّن من التضام البيني للخلايا العصبية"[7]،و في هذا الإطار برزت مجموعة من الطروحات التي حاولت أن تقف عند حدود النشاط الإدراكي عند الإنسان، محاولة فهم الآليات الإدراكية من خلال **تَمثُّل كيفية اشتغال الذهن**.

إنَّ من بين التصورات المقدمة للنشاط الإدراكي اللغوي نجد تصور الدلالي الفرنسي **غوستاف غيوم (Gustave Guillaume)**، والذي يرى أن الإدراك "ينطوي على لحظتين نظريتين متميزتين : **لحظة (اللغة)** ، **ولحظة (الخطاب)**، تتوافق اللغة مع جانب **(التمثيل)** والخطاب مع جانب **(التعبير)**[8]، و من شأن هذا التمييز أن يكوّن جوهر الإنسان – خلاف صرخة الحيوان التي من شأنها أن لا تخلق أي مسافة بين فعل التعبير وفعل التمثيل، فالمستوى التمثيلي من قبل اللغة سيحدث ما يسميه قيوم : **فكر الفكر** المسجل بطريقة محددة وآلية في العقل البشري"[9] وهو ما يعني أن فعل الإدراك هو القدرة على بناء تصورات ذهنية مجرَّدة عبارة عن نماذج ومُثُل لغوية تنوب عن البناء/ الحدث في الواقع، وهذا وفق بناء تأليفي انطلاقا من معطيات مباشرة، ومعلومات مخزنة في الذاكرة، و كذا تَمثُّل لإكراهات المقام وتوجهاته ...إلخ، مع إمكانية تجسيد هذا البناء التصوري في بنى لفظية/ نصية وفق تراسل وتوافق دقيق بين الذهن والواقع.

أما اللساني الفرنسي **أنطوان كليولي (Antoine Culioli)** فقد اقترح نموذجا مقاربا لنموذج غوستاف قيوم ، والذي **يشكل التمثيل فيه نواة مركزية في وصف النشاط الإدراكي** ، غير أنه يرى للتمثيل مستويات ثلاثة **فالمستوى الأول هو التمثيلات الذهنية**، وهذا المستوى من مفاهيمية الواقع لا يمكن الوصول اليه مباشرة، ولا يمكن إدراكه إلا من خلال الأنشطة البشرية وبخاصة الأنشطة اللغوية، أما **المستوى الثاني فهو التمثيلات النصية**، فنشاط اللغة هو نشاط تمثيل يفسح المجال للإجراءات اللسانية التي لها أثار على شكل علامات لغوية، لذلك فإنّ هذه هي: **تمثيلات التمثيلات** الخاصة بكل نظام لغوي، أما **المستوى الثالث فهو تمثيلات الميتا ألسنية**، و هو ما يعني أننا **بحاجة إلى بناء نظام التمثيل الذي يدور حول هذا النسق من التمثيل الذي هو اللغة** [10]، و هو ما يجعلنا نقدّر أن اللغة هي النافذة الرئيسية للنشاط الإدراكي عند الإنسان.

يقدم لنا **لانقاكر** تصوّره لمسألة الإدراك بالقول : " ...إذا كانت رؤيتنا لهذا العالم تبنى بناء ذهنيا على أساس التجربة، فإنّ كل واحد منّا يدركه بطريقة مختلفة إلى حد ما، وبطريقة مختلفة كثيرا عما تدركه به الكائنات ذات القدرة الذهنية الأخرى، ورغم هذا التنوع **تتشكل عملية البناء تلك و تتقيد بطبيعة العالم الواقعية(...)** و هذه العملية مقيّدة أكثر بموقعنا في

العالم، فنحن ندركه دائما في اللحظة الحاضرة و من زاوية موقعنا الحالي فيه، ومن خلال حواسنا وبملكاتنا الذهنية"[11]، و هو ما يعني أن الإدراك عنده مسيّج بواسطة التجربة الإنسانية،فالإنسان يشكل تصوراته انطلاقا من التجارب التي يخوضها في الحياة [12]،مما يعني انتفاء **هيمنة الرؤية العقلانية كمغذي وحيد للنشاط الإدراكي**، لأنّ العالم الذهني الذي نبنيه متجذّر في تجربتنا من خلال تفاعلنا الحسي والحركي مع محيطنا الوجودي.

إنّ الرؤية الإدراكية تنظر إلى اللغة انطلاقا من حركية العقل، لذا فهي لا تنظر إلى اللغة كقوالب محددة بشكل مسبق -وهي النظرة النمطية التي تتميز بالجمود إلى حدّ كبير- بل تراها في حركية دائمة تساوقا مع حركية العقل في تعاطيه مع جميع أنماط المعرفة.

3- المقاربة العرفنيَّة للغة :

3-1- اللغة من المنظور العرفنيَّ :

تنطلق المقاربة العرفنيَّة للغة من مبدأ أن اللغة يمكن أن تمثّل انعكاسا دقيقا وتمثيليًا للقدرة الذهنية العامة لدى البشر، و من هذه الزاوية يرى **رولاند لانقاكر** أنّ تحليل اللغة يؤدي إلى" استخلاص نتائج رائعة حول المعنى اللغوي و العرفنة البشرية، و أولى النتائج الرائعة تتمثل في المدى الذي يتوقف فيه معنى عبارة ما على عوامل أخرى ليست من الوضعية الموصوفة، فهو من جهة يفترض مسبقا أرضية مفهومية مركبة تتضمن أمورا من قبيل الخلفية المعرفية وإدراك السياق المادي و الاجتماعي و اللغوي، و من جهة أخرى تفرض عبارة ما انْبِنَاءً مخصوصا يعكس طريقة واحدة فقط من طرق لا تحصى في تصوُّر الوضعية المعنية و في رسمها"[13]، فالنشاط اللغوي مهما كانت خصوصيته محكوم بالآليات العرفنيَّة العامة الموجهة لسائر الأنشطة الإنسانية الأخرى الذهنية والسلوكية . و يمكن تلخيص الرؤية العرفنيَّة للغة في النقاط التالية :[14]

- اللغة حاصل تفاعل عوامل داخلية ترجع إلى خواص الكائن البشري الذاتية، وخارجية ناتجة عن تجربة العالم في أبعادها الفيزيائية والبيولوجية، والسلوكية النفسية و الاجتماعية الثقافية .

- أغلب هذه العوامل متشابهة بالنسبة إلى كل المتكلمين، و هو ما يفسر وجود (كليات لسانية) هي صدى لمبادئ تصورية كليّة، يمثل ضبطها ووصف آليات اشتغالها الرهان الأساسي في المشروع العرفاني .
- إنَّ المعنى بناء ديناميكي هو حاصل تعامل المستويات النحوية و المعجمية والتركيبية، وما النواة الصلبة في نظام اللغة إلا المكون الدلالي، فغاية اللغة في الاستعمال تشييد أبنية دلالية مركبة هي عبارة عن تمثيلات ذهنية .

2-3- اللغة نشاط إدراكي:

إنّ العملية الإدراكية وظيفيا هي عمليات ترتيب و تنظيم و تبويب و تصنيف لمختلف صوّر العالم المحيط بنا ، و في هذا السياق يذهب **لانقاكر** إلى أنّ النشاط الإدراكي يقودنا في نهاية المطاف إلى بناء معرفة مؤسسة انطلاقا من تداعي التصورات حسب وصفه حيث" تقود التصورات بعضها إلى بعض، فإن فكرت في حرف [أ] يحتمل أن تفكر في الحرف [ب] ، و هذا يسهل إنشاء الحرف [ج] و هو بدوره يؤدي إلى [د]، وهكذا دواليك .... "[15]، كما يسمى سلسلة التصورات التي يقود بعضها إلى بعض **بالمسلك الطبيعي في تداعي التصورات** ،يقول: " تسمى السلسلة من التصورات التي يؤدي فيها الواحد مباشرة إلى الموالي مسلكا طبيعيا، و ينهض عدد كبير من المسالك الطبيعية بدور مهم في البنية اللغوية يتمثل واحد من أبرزها في الترتيب الذي يكون فيه إنتاج الكلمات أو ظهورها وفق تسلسل معين"[16] . وهذا الأمر في تداعي التصورات يمكن معاينته بسهولة من خلال مدة المعالجة التي يستغرقها الإنسان في بناء تصور معين والتي تعكس كمية الجهد المبذول[17]، و في هذا الشأن يذهب لانقاكر بأن النشاط الإدراكي هو نشاط عصبي له بعد زمني، حتى أنّ أبسط تصور يقتضي مدى ما من الزمن ليكتمل حدوثه، و يكون تدرجه الزمني عند حدوث تصور أكثر تركُّبا موضوعا للوعي، حيث يكاد المعنى في جملة مركبة أن لا يفهم فهما فوريا، و الأرجح أنه يتكشّف تدريجيا دون أن تكون هناك لحظة زمنية تنشط فيها جميع وجوهه و تتوفر بشكل متزامن [18].

إن النشاط الإدراكي لا يمكن أن يكون إلا فعلا واعيا، و" كلما اكتسبنا تجربة أكبر كلما زادت معرفتنا بالعالم وكلما احتجنا إلى عمليات تجريدية تنظيمية هادفة إلى ترتيب المعلومات الواردة على الدماغ لتيسير استعمالها من حين إلى آخر ، فهذا **التجريد الواعي للأشياء** يتمثل في تكوين وعي الذات بخصائص الشيء المدرك [19] ومن ثم وعينا بالحياة.،

4- النشاط العرفنيّ والتجربة الجسدية [20]:

إن البحوث اللسانية التي اهتمت بقضية علاقة اللغة بالوجود انتهت إلى المقابلة بين تيارين، هما التيار الموضوعي و التيار التجريبي، أما التيار الأول (االموضوعي) يرى أن الجسم لا صلة له بالتصورات الذهنية، إذ البنية العقلية / الإدراكية منفصلة و لا تمت بصلة لأي شكل من أشكال النشاط الجسدي، كما أن وظائف العقل لا يمكن أن تتجاوز المسائل التالية [21]:

1- توفير قناة عبور بالنسبة إلى التصورات المجردة .
2- توفير أرضية أي طرق بيولوجية لمحاكاة قوالب العقل المتعالي.
3- وضع حدود معينة للتصورات الممكنة .

أما وجهة النظر التجريبية ، فترى في العقل تجليا لتجارب الجسد، فليس العقل قيمة متولدة عن طبيعة الجسم و ما يتعلق به من تجارب فردية و جماعية.

إن هذا التوجه في الطرح و تعدد الدراسات الباحثة في علاقة اللغة بالواقع، و اهتمام الفلاسفة الذين حاولوا فهم العلاقة بين اللغة والكون، ترتب عنه – من المنظور العرفنيّ - التصوّر الذي يرى في **البنى التصورية متولّدة عن تجربتنا الجسدية**، و هذا نتاج التفاعل المكثف و المركّز بين الإنسان والوجود الذي يحيط به سواء أكان ماديا أم كان معنويا، و هي الأطروحة التي نجدها تؤثث **رؤية لانقاكر** في بحثه علاقة اللغة بالتجربة، يقول : " من حيث نحن مخلوقات ذات أجساد نتفاعل مع ما يحيط بنا من خلال عمليات مادية تشمل النشاط الحسي و الحركي . **يعرف ذلك في اللسانيات العرفنيَّة بالجسدنة**، و لكن من الجلي أن حياتنا الذهنية تتجاوز حدود تجربتنا الجسدية الفورية، فالعمليات العرفنيَّة المتنوعة تنشئ أبنية ذهنية على مستويات متتابعة من التنضيد، تزداد صلتها بتلك التجربة تباعدا على التدرج، فهذه الأبنية لا تسمح لنا بالتعامل مع العالم الواقعي تعاملا أنجع فقط، بل تضبط ما يكوّنه وتوسّعه إلى حدّ كبير كذلك"[22]. فالعرفنة متجذرة في الإدراك و في التجربة الجسدية من خلال التفاعل الاجتماعي، فإن كانت التصورات التي نقيمها داخلية بوجه لا يمكن إنكاره، فإنها تعتبر في كل الأحوال وجها معينا من وجوه العالم الممكنة و المحتملة.

لكن السؤال المطروح: كيف تسهم التجربة الجسدية الآنية في تشكيل البنية التصورية؟ في هذه المسالة يرى **لانقاكر** أن نشاطنا العرفنيِّ منفصلا – بدرجات مختلفة- عن التجربة الجسدية الفورية، وأن الذاكرة هي التي تلعب الدور الرئيس عن طريق إحياء تجربة سابقة ثم توظيفها توظيفا آنيا في المعالجة الذهنية لمسألة ما[23].

إنَّ التجريد أو التعالي عن التجربة الجسدية الآنية يحدث حسب لانقاكر من خلال ترسيخ ما يكون مشتركا بين التجارب المتعددة، فدون القدرة على التجريد تكون كل تجربة

فريدة لا تربطها صلة بأي تجربة أخرى، ولا يمكن أن تنبثق رؤية منضّدة للعالم [24] فـالمفاهيم التي نستطيع الوصول إليها في الطبيعة والواقع الذي نفكر ونتحدث عنه هي وظيفة تجسيدنا ولا يسعنا إلا أن نتحدث عن ما يمكننا إدراكه وتصوّره، والأشياء التي يمكن أن ندركها ونتصورها مستمدة من التجربة المجسدة ، ومن وجهة النظر هذه يجب أن يحمل العقل البشري بصمة التجربة المجسَّدة.

ولذلك فصوّر العالم الخارجي التي نستطيع تمثُّلها مُسيّجة إلى حد كبير بالإطار البيئي الذي نعيش فيه، إذْ اللغة لا تعكس العالم بشكل مباشر، بل من خلال ما هو مرسَّخ في تجربتنا الحياتية التي تقيَّد طبيعة هذا الواقع بالنسبة لنا،وهنا نجد أن التفاعل الاجتماعي يؤدي دورا كبيرا في تنمية المهارات بما ينسجم مع المحيط الاجتماعي و الثقافي . فالتصورات التي نقيمها داخلية بوجه لا يمكن تجاوزه، غير أن كل واحد منها هو تصور لوجه ما من وجوه العالم الممكنة.

5- البناء الذهني و مسألة المعنى:

إن طبيعة المعنى الموسوعية تجعل منه مسألة شائكة يصعب تناولها من زاوية واحدة، وهذا لارتباطه بعوامل عدة تسيّجهُ و تدخل في تكوينه، منها ما هو داخل لغوي و منها ما هو خارج لغوي، لتنصهر تفاعليا مشكِّلة إياه كبنية مدركَة تعكس تواجدا في العالم المنظور، فنحن نمتلك – حسب لانقاكر- مجموعة من الأبنية الذهنية المتنوعة التي تمكّننا من التعامل مع العالم الذي نعيش فيه ونتحدث عنه، وهي التي تكوِّنه إلى حدّ كبير [25].

إنّ المعنى نتاج تفاعل معقد بين **الذات الفردية و الكون**، وهو في حركية دائمة في تشكّله و تبلوّره، لذا فالمعاني "عوض أن تكون ثابتة ومحددة سلفا، فإنّها تتكون بالتفاوض بين المتحاورين على أساس المقام المادي واللغوي والاجتماعي والثقافي [26] و هنا نجد **لانقاكر** يطرح السؤال التالي :هل المعاني محلية تتضمنها أذهان المتكلمين؟ أم هي موزعة على مجموعة لغوية ما، وعلى السياق الفوري المباشر للكلام وكذلك على العالم المادي والاجتماعي و الثقافي ؟

علينا أن نميّز بين الملابسات المتنوعة التي تنشئ إمكانية التفاعل الحامل للمعنى من جهة، والتجربة الذهنية الحقيقية التي تكون للفرد و هو يشارك في ذلك التفاعل من جهة أخرى، فمعنى عبارة ما يكمن في **نشاط المفهمة** الذي يكون للمتكلمين الأفراد، و لانقاكر يقدم

تصورا حول تشكل المعنى يستلزم **أرضية مفهومية متعددة الوجوه** شاسعة تسنده و تشكِّله، ومن هذه الوجوه: [27]

1- التصورات المستحضرة أو المنشأة خلال الخطاب السابق.

2- المشاركة في حدث الكلام نفسه جزءا من التفاعل الاجتماعي بين المتحاورين.

3- إدراك المقام المادي والاجتماعي والثقافي

4- و كذلك كل مجال من مجالات المعرفة تثبُت إفادته، كما تساهم الظواهر التخييلية والتأويلية (من قبيل الاستعارة مثلا) إلى حد غير صغير في البلورة اللاحقة.

إذن **فالمعنى ليس قيمة ذهنية ثابتة، كما أن عملية الفهم لا يمكن أن تكون خطية**، لأنّ المعالجة تجري على أساس التزامن وفق أبعاد مختلفة ومستويات متعدّدة، فلا يوجد تسلسل طبيعي واحد في الاهتداء إلى العناصر في تصوّر معين، ولا وجود لتسلسل وحيد يكون التشبث به تشبثا تاما في الواقع العملي.

6- حدث الاستعمال / التفاعل و كيفية الفهم :

يقول لانقاكر: " يجري التسليم في العموم أنّ الاستعمال الرئيسي للغة يكون تحاوريا، ولكنَّه ليس الأغلب، فالفائز بعصا السبق في هذا المضمار إنما هو **التفكير اللغوي الصامت** الذي يكون لنا في كل لحظة تقريبا خلال حياتنا اليقظة، ولكن المحاورة تظلّ رغم ذلك رائجة توفر منوالا أساسيا تحاكيه سائر الاستعمالات اللغوية وتطوّعه حسب الحاجة" [28]، و يذهب في سياق حديثه عن حدود الخطاب إلى نفس الطرح تقريبا حيث يرى أن الخطاب هو" من الأحداث التفاعلية يمارس المتكلم في كل واحدة منها تأثيرا ما على مخاطب حقيقي أو متخيّل، ولكي تتأهل العبارات المكوّنيّة لتكون خطابا، وجب أن تدرك الواحدة منها في علاقتها بالأخرى (لاعلى أنها مجريات ينفصل بعضها عن بعض) . فكل واحدة منها تتصل بوجه من الوجوه بما ورد قبلها وتهيء الإطار لما يأتي بعدها، وبذلك يكمن واحد من مظاهر المضمون في عبارة ما – وهو مظهر حاسم في الأغلب - في الكيفية التي بها ترتبط تلك العبارة بما يسبقها أو بما يلحقها من العبارات"[29]. و هو الربط و إن كان تجليه لفظا في سياق الكلام إلا أنه **يعكس صورة الترابط على المستوى الذهني قبل كل شيء.**

و هنا يجب أن نميّز في الاستعمال بين معرفتين : معرفة متكلم فرد و المعرفة الجماعية التي تكون لمجتمع بأكمله ، و يمكن القول إن الأول أساسي أكثر بما أن المعرفة الجماعية تتمثّل في معارف الأفراد. وفي سبيل دراسة اللغة من حيث هي جزء من العرفنة ، يتمثل معنى عبارة ما أولا وقبل كل شي في المعنى الذي يكون لها عند متكلم فرد (ممثل المجموعة) ولا يعني هذا رفض المظهر الاجتماعي في المعنى اللغوي أو التقليل من شأنه، فالفكرة التي تكون لفرد ما عما تعنيه عبارة ما، إنما تتبلور من خلال التفاعل التواصلي وتتضمن تقديرا لدرجة التواضعية التي تكون عليها في المجموعة اللغوية

إنّ هذا الطرح الذي يعطينا صورة واضحة عن دور السياق في بناء المعنى، و من ثم في فهم الخطاب وتأويله على النحو الذي يمكّن من تمثل مقاصد المتكلم بدقة، ففحص حدث الاستعمال يجب أن يتجاوز ما يخص المتكلم وحده أو ما يخص المتلقي وحده إلى المجال الذي **تتقاطع فيه تصورات الطرفين** والذي يكون ضامنا لنجاح فعل التواصل. فنحن خلال فعل التواصل نعتمد على معرفتنا وعلى قدراتنا الذهنية، و على إدراكنا **للمقام الذي يمثِّل الخطابُ الجاري فيه وجها منه**،" فلا ينبغي أن تُتصور العوامل المتنوعة التي تساهم في أحداث الاستعمال على أنها معزولة متفاصلة، وبوجه خاص لا يمكن أن نميّز المساهمات الخاصة باللغة أو نقيم حدود دقيقة لها، وعلى هذا **لا تقبل الأبنية اللغوية العزلَ عن العوامل الأخرى التي تساهم في إجراء اللغة**، فهي تكمن في بعض المظاهر من نشاط المعالجة الذهنية التي تجري خلال أحداث الاستعمال بحسب تعبير لانقاكر [30] .

و في المقابل، فإنَّه في فعل التلقي يقوم المتلقي بعمليات استدلالية دقيقة ،وهذا بالحساب التأليفي بين البنية اللغوية و البنية المقامية و محاولة تشكيل تصور عن العلاقة بينهما وفق الشروط والسياقات المخصوصة لحظة الإنجاز، لأن المتلقي في الأخير ومن خلال فعله التأويلي فإنّه يحاول إعادة **بناء تصور المتكلم في ذهنه، و لأنَّه في نهاية المطاف نجد أن المعرفة الجماعية هي المؤسّسة للتواصل.**

7- خلاصة:

من خلال هذا العرض الموجز لأهم الأسس التي اتكأ عليها **رونالد لانقاكر** في مقاربته العرفنيّة للغة، من خلال كتابه الموسوم بـ: مدخل في النحو العرفنيّ، نخلص إلى النتائج التالية :

1- إن النشاط اللغوي وفق تصور **لانقاكر** محكوم بالآليات العرفنيّة ، و بالتالي لا يمكن فصل اللغة في الدراسة عن الجوانب الذاتية و النفسية و كذا انعكاس التجربة النفسية في ذات الفرد الممارس للغة.

2- إن للتجربة الجسدية و الاجتماعية دورا مهما ورئيسيا في بناء التصورات الذهنية، فالبنى المستخدمة لإضفاء الانسجام على أنظمتنا التصورية تتولد عن تجربتنا الجسدية.

3- إن الإدراك عملية و اعية، فكلما اكتسب الفرد تجربة كلما زادت معرفته بالعالم و هكذا دواليك.

4- إن المعنى الذهني يتميّز بالحركية،و يتبلور من خلال التجارب الجسدية ومن خلال التفاعلات الاجتماعية.

5- إن البحث في النشاط العرفنيّ اللغوي و محاولة فهمه و تفسيره، وهو من صميم البحث في آليات عمل العقل و كيفيات اشتغال الذهن البشري في تعامله و تعاطيه مع مختلف أنماط المعرفة.

6- إنّ اللغة تشير إلى تصورات أكثر من إشارتها إلى حقائق، و أن المعاني ترتبط بالدرجة الأولى بالتصورات قبل ارتباطها بالألفاظ

- **قائمة مصادر و مراجع البحث :**

1- روناد لانقاكر ، **مدخل في النحو العرفنيّ**، تر: الأزهر زنّاد، معهد تونس للترجمة، تونس (2018).

2- جورج لايكوف، **نساء و نار و أشياء خطيرة : ما تكشفه المقولات حول الذهن**، تر : عفاف موقو، ضمن كتاب(إطلالات على النظريات اللسانية و الدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين)، إشراف عزالدين المجدوب، بيت الحكمة، تونس (2012) .

3- كاترين فوكس، **هل توجد لسانيات إدراكية**، تر : لطفي السيد منصور، ضمن مجلة فصول، المجلد 25 /4 العدد 100، الهيئة المصرية العامة للكتاب (2018)

4- يسر هبيّل، **الإحالة بين اللغة و الخطاب**، الدار التونسية للكتاب (2017)

5- جيل فوكونياي، **الفضاءات الذهنية**، ضمن مجلة فصول، المجلد 4/25 العدد 100، الهيئة المصرية العامة للكتاب (2018).

6- جاك موشلر آن روبول، **القاموس الموسوعي للتداولية**، تر: مجموعة من الأساتذة (إشراف عز الدين المجدوب) المركز الوطني للترجمة. تونس،ط2(2010).

7- ففيان إفانز و ميلاني جرين، **طبيعة اللسانيات الإدراكية**، تر : عبده العزيزي، مجلة فصول، المجلد (4/25) ، ع100، الهيئة المصرية العامة للكتاب (2018).

8- باتريك شارودو و دومينيك منغنو ، **معجم تحليل الخطاب**، تر : عبد القادر المهيري و حمادي صمود، المركوز الوطني للترجمة، (تونس) 2008 .

9- محمد الصالح البوعمراني : **دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني**، مكتبة علاء الدين، صفاقس (تونس) ، 2009.

10- فرانسوا ريكاناتي ، **فلسفة اللغة والذهن**، تر: الحسين الزاوي ، ابن النديم للنشر والتوزيع (الجزائر)، 2016.

- **هوامش البحث :**

[1]. اللسانيات العرفنّية (Conitive L'inguistics) ، مصطلح تعددت ترجماته في الحقلين اللساني و النقدي العربي، فنجد: اللسانيات العرفنيّة ، اللسانيات العرفانية ، اللسانيات الإدراكية، وقد اعتمدنا مصطلح اللسانيات العرفنيّة تماشيا مع المصطلح الذي استعمله الأزهر زنّاد في ترجمته لكتاب رونالد لانقاكر **(Cognitive Grammar : a Basic Introduction)** بـ: مدخل في النحو العرفنّي، و هو الكتاب الذي اعتمدناه في هذه الورقة البحثية، والصادر عن معهد تونس للترجمة ، تونس ط،1 (2018).

[2] - للتوسع في هذا الطرح نحيل القارئ إلى كتاب: فرانسوا ريكاناتي، فلسفة اللغة و الذهن، تر: الحسين الزاوي، ابن النديم للنشر و التوزيع (الجزائر) ، ط1 2016.

[3]- لقد عرف الدرس اللساني مع نهاية ستينيات و بداية سبعينيات القرن الماضي تحولا هاما مع بداية الاهتمام بالبعد التواصلي للغّة، والمتمثل أساسا في الالتفات لدراسة **الكلام** مقابل اللغة باعتبارها **بنية ونظاما**، وهو تحول لافت حاول أن يتجاوز النظرة البنوية للغة - وهي النظرة التي يمثّلها الاتجاه البنوي، وكذا التوليدي والتحويلي-إلى الأبعاد المرتبطة بالاستعمال والحدود المؤطّرة له، وهو ما تمثّله الدراسات التداولية التي ساهمت بشكل كبير في إرساء هذا التحول، من خلال المنجزين النظري والتطبيقي الكبير الذي قدمته، وهو ما ترتب عنه التفات الباحثين إلى **مسألة المعنى بما هو مسألة ذهنية ونفسية** سواء من حيث البناء أومن حيث التلقي، و هي القضية التي شكلت جوهر البحث في اللسانيات العرفنيّة.

[4]- جورج لايكوف، نساء و نار و أشياء خطيرة : ما تكشفه المقولات حول الذهن، تر : عفاف موقو، ضمن كتاب(إطلالات على النظريات اللسانية و الدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين)، إشراف عز الدين المجدوب، بيت الحكمة، تونس (2012) تر : عفاف موقو، ج 1 ص 321.

[5]- رونالد لانقاكر ، مدخل في النحو العرفنيّ،تر: الأزهر زنّاد، معهد تونس للترجمة، تونس (2018)، ص 23-24.

[6]- يؤرخ للمنعطف الإدراكي للسانيات بداية من عام 1956، حيث اجتمعت حلقتان دراسيتان حول مشروع ابستمولوجي مشترك، عرف باسم **البرنامج الادراكي** شارك فيهما اللغوي نعوم تشومسكي، و عالم النفس هربرت سيمون، و مارفن منسكي خبير الذكاء الاصطناعي، كان يهدف هذا المشروع متعدد التخصصات إلى **توصيف عمليات تشغيل العقل من خلال ملكة اللغة** ،

للتوسع في هذه القضية أكثر ، ينظر كاترين فوكس ، هل توجد لسانيات إدراكية، تر: لطفي السيد منصور، ضمن مجلة فصول، المجلد 25 العدد 100، الهيئة المصرية العامة للكتاب (2018) ،ص 64.

[7]- كاترين فوكس، هل توجد لسانيات إدراكية، تر : لطفي السيد منصور، ضمن مجلة فصول، المجلد 25 العدد 100، الهيئة المصرية العامة للكتاب (2018)، ص 63.

[8]- إن التجربة النفسية هي أساس التمثيلات الذهنية التي نصوّر بها العالم و نتصوره، فالتجارب الحسية Expériences sensorielles و ما نتذكره منها، و المشاعر Ressentis التي نحكم بها على الأشياء المحيطة بنا، تتحول إلى صورة محزّنة في الذهن و قابلة لإعادة الاستعمال عند الضرورة .

للتوسع في هذا المفهوم، ينظر يسر هبيّل، الإحالة بين اللغة و الخطاب، الدار التونسية للكتاب (2017) ص 312

[9]- كاترين فوكس، هل توجد لسانيات إدراكية، ص 68.

[10]- انفسه، ص ص 69-70 .

[11]- رولاند لانقاكر، مدخل في النحو العرفنيّ ، ص 856

[12]- يميّز **باتريك شارودو** في معجم تحليل الخطاب بين نمطين من التصورات أو ما يسمها هو بـ : **الدرايات والعقائد**، فالدرايات يؤصلها بكونها **تمثّل عقلي لوجود الكائنات و ظواهر العالم**، وهذه الدرايات يفترض فيها أن تخبر عن العالم بكيفية أقرب ما تكون إلى الموضوعية، و يقع الحصول عليها إما بتجارب الحياة، أو عن طريق علم تقني، أما العقائد فتاتي من نظرة الإنسان الذاتية إلى حوادث العالم، و ليست الاعتقادات محاولة لتعقل العالم بقدر ما هي محاولة لتقييمه في ما يتعلق بوجاهة شرعيته و تقديره في ما يتعلق بمفعوله في الإنسان و قواعد عيشه، فهذه الاعتقادات تنتمي إلى الأحكام التي تساهم في صنع معايير مرجعية يقع بواسطتها تغيير سلوك الأفراد.

للتوسع في هذا الطرح، ينظر باتريك شارودو و دومينيك منغنو ، معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري و حمادي صمود، المركوز الوطني للترجمة، تونس 2008 ، ص 123 و ما بعدها.

[13]- نفسه، ص ص 18-19.

[14]- جيل فوكونياي، الفضاءات الذهنية، ضمن مجلة فصول، المجلد 25 العدد 100، الهيئة المصرية العامة للكتاب (2018)، ص ص 388-389.

[15]- رونالد لانقاكر ، مدخل في النحو العرفني، ص 820،

[16]- نفسه ، ص 820.

[17]- يعد هذا المفهوم مركزيا في نظرية الملاءمة التي وضع أسسها (Sperper) و (Wilson) في كتابهما الصادر سنة 1986 بعنوان : **الملاءمة ، التواصل والعرفان** (la pertinence : communication et cognition)، و قد تأسست هذه النظرية انطلاقا من محاولة تفسير **مبدأ الإفادة** اعتمادا على **منوال عرفاني** بديلا عن المنوال السنني أو منوال، إذ نجد طرح مسألة المدة الزمنية التي تستغرقها المعالجة الذهنية مؤشرا واضحا عن كمية الجهد المبذولة لبناء تصور ملائم، فكلما كانت المدة الزمنية أطول كلما كانت كمية الجهد أكبر في بلورة تصور محدد و العكس صحيح. للتوسع أكثر ينظر: جاك موشلر ، آن روبول، القاموس الموسوعي للتداولية ، ص 96 وما بعدها .

[18]- رونالد لانقاكر ، مدخل في النحو العرفنيّ، ص 63.

[19]- يسر هبيّل، الإحالة بين اللغة و الخطاب (م. س)، ص 302.

[20]- إن فكرة جسدنه العقل هي فكرة مركزية في علم اللغة الإدراكي فمنذ أن طور الفيلسوف الفرنسي (رينيه ديكارت) René Descartes في القرن السابع عشر الرأي القائل بأن العقل و الجسد هما كيانان متمايزان – مبدأ ثنائية العقل/ الجسم - صار بالإمكان دراسة اللغة كنظام شكلي أو حاسوبي دون مراعاة طبيعة الأجساد البشرية أو الخبرة البشرية، في مقابل فان اللسانيات الادراكية ليست عقلانية بهذا المعنى، حيث تؤكد على أهمية التجربة البشرية و محورية جسد الإنسان، إذ أن اللغة من المنظور الإدراكي لا يمكن تحقيقها في معزل عن الجسدنة البشرية

للتوسع أكثر في فكرة الجسدنة، ينظر ففيان إفانز و ميلاني جرين، طبيعة اللسانيات الإدراكية، تر: عبده العزيزي، مجلة فصول، المجلد (4/25)، ع 100، ص 53.

[21]- جورج لايكوف، نساء و نار و أشياء خطيرة، ج1 ص 327.

[22]-رونالد لانقاكر، مدخل في النحو العرفني ، (م.س) ص ص 856-857 . و ينظر كذلك في مفهوم الجسدنة : محمد الصالح بوعمراني، دراسات نظرية و تطبيقية في علم الدلالة العرفاني، مكتبة علاء الدين، صفاقس (تونس) 2009 ، ص 8-9.

[23]- نفسه، ص 857.

[24]- نفسه، ص857.

[25]- نفسه، ص 19.

[26]- نفسه، ص 58.

[27]- نفسه، ص 80.

[28]- نفسه، ص 752.

[29]- نفسه، ص ص 753- 754

[30]- نفسه، ص 750.